مواقف مزح فيها الرسول ﷺ

obeikandl.com

obeikandl.com

مواقف مزح فيها الرسول ﷺ

تعريف المزاح:

هو الدعابة، وهو نقيض الجد من قول أو فعل، والمزاح أمر جبل عليه الإنسان في أصل طبيعته، ويستخدمه الإنسان لأغراض شتى.

وضد المزاح والتبسم: العبوس والتقطيب والجد والصرامة. والعرب كانت تمتدح بالأول، وتذم بالثاني، فإذا أرادت العرب أن تمدح شخصاً قالت: فلان بسام الثنايا، طلق الوجه، بشوش للضيف، ويعتبرون هذا مما يمدح به الإنسان؛ لأنه يدل على كرم أخلاقه، وحسن معشره وطيب معاملته، وقد يذمون بالآخر وهو الاكفهرار والعبوس. فيقولون: فلان عبوس الوجه، جهم المحيا، كريه المنظر، حامض الوجه، كأنما وجهه بالخل منضوح، أي: كأنما وضع الخل على وجهه فلشدة حموضته قطب واكفهرت أساريره، وكأنما أسعط خيشومه بالخردل، أي: كأنما وضح الخردل في أنفه سعوطاً فكان مقطباً: فالعرب تمدح بالأول وتذم بالثاني. ولاشك أن العرب يقصدون الأمر المعتدل من ذلك، وإلا فإن المزاح -كما سيأتي- إذا زاد وتعدى كان مهانة وذلاً وضعةً من قدر صاحبه، كأن يجرئ عليه الصبي الصغير، والسفيه والأحمق والجاهل، فإنما يقصد العرب من ذلك: ما يكون على حد الاعتدال والتوازن، لا إفراط ولا تفريط؛ ولذلك يقول أبو تمام -يمدح رجلاً-:

الجد شيمته وفيه دعابة طورًا ولا جد لمن لا يلعب

فبين أن الجد هو شيمة هذا الإنسان -الأصل عنده الجد- لكن ليس دائماً، ففيه دعابة وفيه فكاهة، (طوراً) أي: حيناً، ولا جد لمن لا يهزل، فإن الإنسان إذا داوم شد الحبل على نفسه فإنه ينقطع، وهذا حتى في سياسة النفس ينبغي أن يتفطن إليه، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: «**يعجبني أن يكون الرجل في بيته صبياً**». وكان عمر رضي الله عنه وهو الخليفة أحياناً يكون في بيته فيتغنى بأبيات من الشعر، يقرؤها بلحون العرب، كما يردد الواحد منا بيتاً في

بيته -أي: بيتاً من الشعر- فربما طرق أحد الباب فسمع عمر وهو يردد هذا البيت من الشعر أو ذاك. وحتى الجبابرة والمتسلطون يقع منهم ذلك، سئل الحجاج يوماً عن موقفه ومعاشرته مع أهله، فقال: والله ما تعدوننا إلا شياطين، والله لقد رأيتني وأنا أقبل رجل إحداهن. أي: رجل إحدى زوجاته، فهذه الأشياء لابد منها لكل إنسان، وهى جبلة فطر عليها المرء، ولا مفر له منها، لكن ينبغي أن يكون -كما أسلفت- على حد القصد والاعتدال، لا يخرج إلى إفراط ولا إلى تفريط.

من أهداف المزاح:

فمن الناس من يمزح بقصد التسلية، لأنه إذا كثر عليه الجد وثقل عليه، فإنه يمل ويكل، فيلوذ ويلجأ إلى شيء من الدعابة والمزاح، وهذا جاء في حديث حنظلة بن الربيع، ففي صحيح مسلم {أن حنظلة بن الربيع الأسيّدي ﷺ قال لأبي بكر: نافق حنظلة، إنا نكون مع رسول الله ﷺ على حال، فإذا خرجنا من عنده عافسنا الأولاد والأزواج والضيعات ونسينا كثيراً. فقال أبو بكر ﷺ: والله إني لكذلك، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال: نافق حنظلة...، وفي الأخير قال له الرسول ﷺ: «**لو أنكم تدومون على ما تكونون عندي؛ لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**»[(١)].

أي: ساعة تعبد وجد وإقبال، وساعة يجلس الإنسان فيها مع أهله ومع أولاده، ويستمتع بما أباح الله تعالى له من أمور الدنيا، ويدخل في ذلك مداعبة الأهل والأطفال والأصحاب والأحباب وغير ذلك. وقد يكون من أهداف المزاح أحياناً: التعلم. فإن التعلم يكون باللعب كما يكون بالجد، وأنت ترى أن الله -جل وعلا- فطر الصبيان الصغار على اللعب بأشياء مما يحتاجونها في كبرهم، فأنت تجد الطفلة الصغيرة تأتي إلى وسادتها، وتحزمها وتعدها بنتاً لها وتسميها، وتحملها وتضعها على حجرها، وتقبلها وتضمها وتغضب إذا أوذيت، وهذا يتناسب مع الجبلة التي خلقت من أجلها المرأة. وكذلك الصبيان يجلسون فيصنعون البيوت ويصنعون الأشياء، ويتدربون على الأعمال

(١) مسلم ٢٧٥٠.

التي سوف يعانونها في الكبر، فالمزاح واللعب -أحياناً- يكون للتعلم، كما يكون التعلم بالجد. وقد كشف في وسائل التربية الحديثة: أن المعلم يحتاج إلى أن يُدخل على طلابه -أحياناً- نوعاً من الطرف ليبعد عنهم السآمة والملل، وهذا كان موجوداً عند علمائنا السابقين، فكان بعضهم يستخدم مع طلابه أساليب للتعليم، مثل أن يسألهم، أو يجعل لهم لغزاً يسمونه «المعاياة» يعاييهم فيه -أي: يعجزهم في الجواب عنه- إلى غير ذلك من الأشياء التي تطرد السآمة والملل، وتعين المتعلم على ما هو بصدده.

وقد يكون المزاح واللعب -أحياناً- للتخلص من الخوف أو القلق أو الغضب أو غيرها، فإن الإنسان إذا مزح أدخل على قلبه شيئاً من التسلية والسرور، وأزال ما يخاف منه أو خفف من ذلك، وهذا يقوله العلماء المعاصرون، لكن في هدى النبي عليه الصلاة والسلام ما يشبه هذا. ففي الحديث المتفق عليه، حديث كعب بن مالك الطويل في قصة توبته، حين تخلف عن غزوة تبوك، يقول رضي الله عنه: «فلما رآني رسول الله ﷺ تبسم تبسم المغضب». إذاً الابتسامة أحياناً تكون من الفرح والسرور والاستبشار، وأحياناً تكون من الغضب، فيتبسم الإنسان لأن من سجيته الكرم والخلق الحسن، حتى وهو مغضب، ويدل حاله على أن هذا التبسم ليس تبسم الرضا، وإنما هو تبسم الغضب. وقد يكون المزاح -أحياناً- للتخلص من موقف صعب، فإن كثير من الناس كانوا -ولا زالوا- يتعرضون لمواقف صعبة، إما مع حاكم أو أمير أو قاض، أو زوج مع زوجته أو زوجة مع زوجها، أو تلميذ مع شيخه أو ما أشبه ذلك. فيكون موقفاً صعباً، ليس له جواب إلا إذا كان هذا الإنسان عنده طرف وسرعة بديهة -كما يقولون- فيتخلص من صعوبة هذا الموقف؛ بأن يأتي بمزحة مناسبة؛ فيضحك منها الشيخ أو الأمير أو الشخص المعني، ثم يزول ما به من الغضب، ويعفو ويصفح عن الطرف الآخر، ومثل هذا كثير في كتب اللغة والأدب وغيرها.

وقد يكون المزاح على سبيل الملاطفة والملاينة،وتطييب خاطر من يقابلك؛ ولذلك قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي: «**وتبسمك في وجه أخيك صدقة**» فإنك إذا تبسمت له، تعرب له عن محبتك وسرورك بمقدمه، وأن قلبك لا يحمل له إلا الود

والحب، فهذه بسمة يعبر فيها الأخ المسلم عن حبه لأخيه حين يلقاه، فعدها النبي ﷺ من الصدقات، كأنك أخذت مالاً وأعطيته إياه؛ لأنك تدخل السرور على قلبه بذلك. ولهذا يقول جرير رضي الله عنه: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم» متفق عليه، فكان يبتسم له ﷺ لأنه كان يحبه، ويقول: عليه مسحة ملك. وكان لا يثبت على الخيل، فمسح النبي ﷺ صدره ودعا له، وأمره أن يذهب إلى ذي الخلصة -وهو صنم كانت تعبده العرب في الجاهلية- فيهدمه، ففعل رضي الله عنه وأرضاه.

مزاح النبي ﷺ

مزاح سيد المرسلين وإمام المتقين، وقدوة الخلق أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. لاشك أن الرسول ﷺ وهو القدوة في كل أمر، وكان عليه الصلاة والسلام يعاني من أمور الدعوة والتبليغ، والإصلاح، والأمر والنهي والجهاد وغير ذلك، ما لا يعانيه غيره، فلا أحد يستطيع أن يقول إنه مشغول أكثر مما كان الرسول ﷺ مشغولاً، ولا جاد أكثر مما كان رسول الله ﷺ جاداً، ولا ورع أكثر من ورعه ﷺ، فهو القدوة في ذلك كله. ولاشك أن الرسول عليه السلام كان الغالب على حياته الجد، وقد بان الشيب على مفرقه عليه الصلاة والسلام قبل أوانه، فقيل له شبت يا رسول الله! فقال: «**شيبتني هود وأخواتها، وقال: حم، وعمَّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت**» وهذا حديث ورد من طرق كثيرة صححه بها بعضهم، وإن كان بعض أهل العلم أعلَّوه بالاضطراب، لكن معناه صحيح. وقد ذكرت عائشة رضي الله عنها «**أن النبي ﷺ كان غالب صلاته في آخر عمره وهو قاعد بعد ما حطمه الناس**» أي: من كثرة دخول الناس وخروجهم عليه وسؤالهم له وحاجتهم؛ حَطَمُوه فتأثر بذلك وأسرع إليه الشيب ﷺ. ومع ذلك فإنه ﷺ كان له مزاح يسلي به أصحابه، ويسري به عن القريب والبعيد..... الأحاديث والأخبار التي كان يقولها ﷺ، فيضحك أو يتبسم بعض من حوله من أصحابه، فهذا كثير جداً، لو جمع لكان في مجلد، لكنني أذكر نماذج سريعة منه. فمن ذلك: حديث أبي ذر في صحيح مسلم «**أن الله تعالى يدني عبداً من عباده يوم القيامة، فيقول له: أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر**

ذنب كذا؟ ويقول لملائكته: اذكروا له صغار ذنوبه ونحو عنه كبارها، فيذكرون له الذنوب الصغيرة، حتى إذا انتهت قال الله عز وجل: فإني قد أبدلتها لك حسنات -لأنه قد تاب منها، فأبدلها الله تعالى له حسنات-. فهذا الرجل قال: يارب! عملت ذنوباً لا أراها هاهنا!، قال: فتبسم رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه» أي: أن هذا الرجل عندما كانت الذنوب الكبائر مستورة عنه وكانت عليه سكت ولم يثر الموضوع، لكن لما عرف أنها صارت في صالحه، وأنها بدلت حسنات، صار يطالب بها، ويقول: عملت ذنوباً لا أراها هنا، أين الكبائر التي عملتها؟ لأنه يعلم أنها ستبدل إلى حسنات!!. ومن ذلك -أيضاً- ما ورد في البخاري أن النبي ﷺ قال: «إن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع -يريد أن يزرع- فقال الله عز وجل: ألست فيما أغنيتك به يا عبدي؟! قال: يا رب، ولكني أحب أن أزرع. قال: فيأذن الله تعالى له بذلك، فيكون بذره وزرعه ونماؤه ونضجه وحصاده في لحظة واحدة، فقال رجل من الأعراب -كان حاضراً عند الرسول ﷺ-: والله يا رسول الله، لا تجد هذا الرجل إلا قرشياً أو أنصارياً، أما نحن فلا حاجة لنا في الزرع؛ فتبسم الرسول ﷺ حتى بدت نواجذه» وله من ذلك شيء كثير -كما أسلفت-.

واذكر نماذج من مزاحه ﷺ، فمن ذلك: كثرة تبسمه ومازحته ﷺ لأصحابه، كما سبق في حديث جرير: «**أن النبي ﷺ ما رآه إلا تبسم**». وقد روى الترمذي، وأحمد وغيرهما، عن عبد الله بن الحارث بن جزء، وهو حديث حسن، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، أنه قال: «**ما رأيت أكثر تبسماً من النبي ﷺ**».

عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ أَحْسِبُهُ فَطِيماً وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ«نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلاَةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا[1].

(١) البخاري ٦٢٠٣.

الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل

قوله: «باب الكنية للصبي، وقبل أن يولد للرجل» في رواية الكشميهني: «يلد الرجل«ذكر فيه قصة أبي عمير وهو مطابق لأحد ركني الترجمة، والركن الثاني مأخوذ من الإلحاق بل بطريق الأولى، وأشار بذلك إلى الرد على من منع تكنية من لم يولد له مستندا إلى أنه خلاف الواقع، فقد أخرج ابن ماجه وأحمد والطحاوي وصححه الحاكم من حديث صهيب «أن عمر قال له: ما لك تكنى أبا يحيى وليس لك ولد؟ قال: إن النبي ﷺ كناني«وأخرج سعيد بن منصور من طريق فضيل بن عمرو «قلت لإبراهيم إني أكنى أبا النضر وليس لي ولد، وأسمع الناس يقولون: من اكتنى وليس له ولد فهو أبو جعر، فقال إبراهيم: كان علقمة يكنى أبا شبل وكان عقيمًا لا يولد له وقوله جعر بفتح الجيم وسكون المهملة، وشبل بكسر المعجمة وسكون الموحدة. وأخرج المصنف في «الأدب المفرد» عن علقمة قال: كناني عبد الله بن مسعود قبل أن يولد لي.

وقد كان ذلك مستعملا عند العرب، قال الشاعر: لها كنية عمرو وليس لها عمرو. وأخرج ابن أبي شيبة عن الزهري قال: كان رجال من الصحابة يكتنون قبل أن يولد لهم. وأخرج المصنف في «باب ما جاء في قبر النبي ﷺ«من كتاب الجنائز عن هلال الوزان قال: كناني عروة قبل أن يولد لي. قلت: وكنية هلال المذكور أبو عمرو ويقال أبو أمية ويقال غير ذلك. وأخرج الطبراني عن علقمة عن ابن مسعود «**أن النبي ﷺ كناه أبا عبد الرحمن قبل أن يولد له**» وسنده صحيح. قال العلماء: كانوا يكنون الصبي تفاؤلًا بأنه سيعيش حتى يولد له، وللأمن من التلقيب، لأن الغالب أن من يذكر شخصًا فيعظمه ألا يذكره باسمه الخاص به فإذا كانت له كنية أمن من تلقيبه، ولهذا قال قائلهم: بادروا أبناءكم بالكنى قبل أن تغلب عليها الألقاب. وقالوا: الكنية للعرب كاللقب للعجم، ومن ثم كره للشخص أن يكني نفسه إلا إن قصد التعريف. قوله: «عبد الوارث»هو ابن سعيد، وأبو التياح بمثناة فوقانية ثم تحتانية ثقيلة..

اقوال عابرة فى المزاح

قال عمر بن عبد العزيز: «اتقوا المزاح فإنها حمقة تولد ضغينة». وقال: «إن المزاح سباب إلا أن صاحبه يضحك». وقيل: إنما سمي مزاحاً لأنه مُزيح عن الحق.

وقال إبراهيم النخعي: المزاح من سخط أو بطر. وقيل في ميسور الحكم: المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب. وقال بعض الحكماء: من كثر مزاحه زالت هيبته ومن كثر خلافه طابت غيبته. وقال بعض البلغاء: من قلّ عقله كثر هزله.

وذكر خالد بن صفوان المزاح -وهو من الخطباء المشهورين- فقال: يصك أحد صاحبه بأشد من الجندل، وينشقه أحرق من الخردل، ويفرغ عليه أحرَّ من المرجل، ثم يقول: إنما كنت أمازحه بعد كل هذا الإيذاء، يقول: إنما كنت أمزح معك.

وقال بعض الحكماء: خير المزاح لا ينال، وشره لا يقال، فنظمها بعض الشعراء، فقال:

شر مزاح المرء لا يقال وخيره يا صاح لا ينال.

وقد يقال كثرة المزاح من الفتى تدعو إلى التلاح.

ان المزاح بدؤه حلاوة لكنما آخره عداوة.

يحقد منه الرجل الشريف ويجترئ بسخفه السخيف.

لا تمازح الشريف يحقد ولا الدنيء يجترئ ويفسد.

وقال بعضهم: ربما يستفتح المزح مغاليق الحمم، أي: الموت.

وقال بعضهم لولده: اقتصد في مزحك، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ السفهاء، وإن التقصير فيه يغض عنك المآنسين، ويوحش منك المصاحبين -يجعل بينك وبينهم وحشة- وإما أن ينفي بالمزاح ما طرأ عليه من سأم، أي: إذا كان المقصود بالمزاح نفي السآمة التي طرأت، مثلاً: حصل ملل في مجلس العلم، كأن يطول المجلس، فحصل فيه نوعٌ من السآمة، فأورد أحد الحاضرين طرفة قصد بهذه المزحة إزالة السآمة، فهذا أمرٌ

محمود، وإما أن ينفي بالمزاح ما طرأ عليه من سأم، أو حدث به من همَّ أو غم، فقد قيل: لابد للمصدور أن ينفس، أي: الذي في صدره شيء لا بد له من تنفيس. وقال بعض الشعراء:

أروق القلب ببعض الهزل ... تجاهل مني بغير جهل
امزح فيه مزح أهل ... فضل والمزح أحياناً جلاء العقل

وقال أبو الفتح البستي رحمه الله وهو صاحب القصيدة المشهورة:

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران.

أفض طبعك المكدود بالجد راحةً يجم وعلله بشيءٍ من المزح.

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما تعطي الطعام من الملح.

إذاً: فليكن المزاح في الكلام مثل الملح في الطعام، وإذا لم يوجد بالمرة كان الكلام فيه شيء من السآمة، وإذا كثر أفسد، مثلما أن الملح إذا كثر في الطعام أفسده وما عاد مستساغاً، إما أن يكون غير مستساغ أو ممجوج.

آداب المزاح

هناك آداب يجب على المسلم أن يراعيها في لعبه ومزاحه منها:

الصدق في المزاح:

فالمسلم يبتعد عن الكذب في المزاح، وقد حذَّر النبي من الكذب في المزاح، فقال: «**لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاحة والمراء**»[١].

الاعتدال في المزاح:

قال: «**لا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب**»[٢].

كما يجب على المسلم أن يدرك أهمية الوقت فلا يقضي وقتًا طويلافي المزاح واللعب

(١) رواه أحمد والطبراني.
(٢) رواه الترمذي.

obeikandl.com

يترتب عليه تقصير في الواجبات والحقوق.

البعد عن السخرية:

يجب على المسلم أن يبتعد في مزاحه ولهوه عن السخرية والاستهزاء بالآخرين، أو تحقيرهم، أو إظهار بعض عيوبهم بصورة تدعو للضحك والسخرية. يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الحجرات:١١].

النية الطيبة في المزاح:

مثل مؤانسة الأصحاب والتودد إليهم، والتخفيف عن النفس وإبعاد السأم والملل عنها.

اختيار الوقت والمكان المناسبيْن:

هناك أوقات وأماكن لا يجوز فيها الضحك والمزاح واللهو، مثل: أوقات الصلاة، وعند زيارة المقابر، وعند ذكر الموت، وعند قراءة القرآن، وعند لقاء الأعداء، وفي أماكن العلم.

عدم المزاح في الزواج والطلاق والمراجعة:

فقد نهى النبي عن المزاح في هذه الأشياء الثلاثة وبيَّن أن المزاح والجد فيها جد، فلو مزح إنسان وطلق زوجته أصبح الطلاق واقعًا.

قال ﷺ: «**ثلاث جدهن جد وهَزْلُهن جد: النكاح والطلاق والرجعة** (أي أن يراجع الرجل امرأته بعد أن يطلقها»[(١)].

عدم المزاح بالسلاح:

المسلم لا يُرعب أخاه، ولا يحمل عليه السلاح، حتى ولو كان يمزح معه، فربما يوسوس له الشيطان، ويجعله يقدم على إيذاء أخيه المسلم، قال الرسول: «من حمل علينا

(١) رواه أبو داود.

السلاح فليس منا»[(١)].

وكذلك المسلم لا يتطاول على أخيه، فيمزح معه مستخدمًا يده؛ لأن ذلك يقلل الاحترام بينهما، وربما يؤدي إلى العداوة.

عدم المزاح في أمور الدين:

المسلم يحترم دينه، ويقدس شعائره، لذلك فهو يبتعد عن الدعابة التي يمكن أن يكون فيها استهزاء بالله -عز وجل- وملائكته وأنبيائه، وشعائر الإسلام كلها.

مزاحه ﷺ

جمَّل الله حياتنا برسول الله ﷺ؛ فهو القدوة الحسنة والأسوة الطيبة، وهديه خير هدي، وفعله خير فعل، حتى في مزاحه ترك لنا أثره الطيب، نقتفيه ونقتدي به، وهنا يأتي السؤال: كيف كان هديه في المازحة؟ هل كان يضاحك ويمازح؟ هل كان يداعب ويلاعب أو يبتسم ويمازح؟

لقد كان يربي بالضحكة، ويهذب بالابتسامة، ويُقوّم بالمزحة، ويدعو بالطرفة، فلضحكاته منافع، ولابتساماته مقاصد، ومن ممازحته عِبر، ولطُرَفه حِكَم وعظات.

فهذا علي ﷺ حين دب خلاف بينه وبين فاطمة رضي الله عنهما يصالحه النبي بالمزاح، يحكي لنا سهل بن سعد قال: جاء رسول الله بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج فلم يقل (وقت القيلولة) عندي، فقال رسول الله لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله يمسحه عنه ويقول: قم أبا تراب، قم أبا تراب«.(متفق عليه) فكان أبو تراب أحب الألفاظ إلى علي ﷺ.

وهذا أسيد بن حضير يمازحه رسول الله وهو يُحدِّث القوم ويضحكهم فيطعنه رسول

---

(١) رواه مسلم.

الله بأصبعه في خاصرته، فقال: أوجعتني، فقال: أصبرني(مكنى من القصاص). قال: اصطبر، قال: إن عليك قميصا وليس علي قميص، فرفع النبي عن قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه (مابين الخاصرة إلى الضلع الأقصر من أضلاع الجنب). قال: إنما أردت هذا يا رسول الله».

وعن عبد الحميد بن صيفي من ولد صهيب عن أبيه عن جده صهيب قال: قدمت على رسول الله بالهجرة وهو يأكل تمرًا، فأقبلت آكل من التمر وبعيني رمد فقال: أتأكل التمر وبك رمد؟ فقلت: إنما آكل على شقي الصحيح ليس به رمد، قال: فضحك رسول الله.

ولما علم عوف بن مالك الأشجعي أن رسول الله لا يأنف من المزاح، ولا يغضب منه، بدأ رسول الله بالمزاح، يقول عوف: أتيت رسول الله في غزوة تبوك وهو في قُبة من أُدمٍ، فسلمت، فردّ وقال: ادخل. فقلت: أكلِّي يا رسول الله؟ قال: «كلك»، فدخلت [١] وإنما مزح عوف بن مالك بقوله: أكلِّي يا رسول الله؟ لأن القبة كانت صغيرة.

ولما رأى النبي رجلًا ذا بشرة حمراء مازحه قائلا: أنت أبو الورد، يقول أبو الورد قال: رآني رسول الله، فرآني رجلا أحمر، فقال: «**أنت أبو الورد**»[٢].

ومنهم رجل اسمه زاهر، يقول أنس ﷺ: إن رجلًا من أهل البادية يقال له زاهر بن حرام، كان يهدي إلى النبي الهدية فيجهزه رسول الله إن أراد أن يخرج، فقال رسول الله: إن زاهرًا باديتنا ونحن حاضروه، قال: فأتاه النبي وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه والرجل لا يبصره، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت إليه فلما عرف أنه النبي جعل يلزق ظهره بصدره، فقال رسول الله: من يشتري هذا العبد؟ فقال زاهر: تجدني يا رسول الله كاسدًا، قال: لكنك عند الله لست بكاسد، أو قال: بل أنت عند الله غالٍ»[٣].

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) رواه الطبراني.
(٣) رواه أحمد وصححه الألباني.

المصطفى يمازح النساء والأطفال

وكما رأيناه ﷺ يمازح الرجال رأيناه يمازح النساء، وهذا من باب اهتمامه ورفقه بهن ﷺ.

انظر إليه ﷺ وهو يلاطف عائشة رضي الله عنها ويمازحها، وهو يسابقها مرتين فتسبقه في الأولى ويسبقها في الثانية، فيقول لها: هذه بتلك،

والحديث عن عائشة قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت؛ خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال: تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: هذه بتلك[(١)].

وانظر إليه وهو يمكنها من النظر إلى أهل الحبشة يلعبون بحرابهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ورسول الله ﷺ يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم بين كتفه اليسرى وعينيه، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو» (متفق عليه).

ومن مداعبته ﷺ مع النساء، ما حكت عائشة رضي الله عنهاأن نبي الله ﷺ أتته عجوز من الأنصار، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله ﷺ: **«إن الجنة لا يدخلها عجوز، فذهب نبي الله ﷺ فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة، فقال نبي الله ﷺ: إن ذلك كذلك؛ إن الله إذا أدخلهن الجنة حوّلهن أبكارا»**[(٢)].

وتأتيه أخرى فتقول: يا رسول الله، إن زوجي يدعوك، فيقول: ومن هو؟ أهو الذي

---

(١) رواه أحمد وأبو داود.
(٢) رواه الترمذي.

بعينه بياض؟ قالت: والله ما بعينه بياض، فقال ﷺ: بلى إن بعينه بياضا، فقالت: لا والله، فقال: «**ما من أحد إلا بعينه بياض**»[١].

وما كانت مداعبته ﷺ ولا مزاحه للكبار دون الصغار، إنما هو للصغير كما هو للكبير، وللنساء كما هو للرجال. يقول أنس ﷺ: إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى إن كان ليقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير، ما فعل النغير.

ويداعب أنسًا ﷺ ويقول له: «يا ذا الأذنين»[٢].

ويرسل النبي ﷺ أنسًا ﷺ يومًا.. ولنترك أنسًا ﷺ يقص علينا الخبر: يقول أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يوما لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك. فقال: يا أنيس، ذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله ﷺ»[٣].

ويُخرج لسانه للحسن والحسين صغارًا مداعبًا إياهما رضي الله عنهما، ويطأ ظهره لولديه الحسن والحسين ليركبا، ويدخل عليه أحد أصحابه فيقول: «**نعم المركب ركبتما، فيقول: ونعم الفارسان هما**»[٤].

وفي رواية عند الطبراني: عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت أذناي هاتان، وأبصرت عيناي هاتان رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفيه جميعًا، حسنًا أو حسينًا، وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ، وهو يقول: حُزُقَّة حُزُقَّة ارَقَّ عين بَقَّة، فيرقى الغلام حتى يضع قدمه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال له: افتح فاك، قال: ثم قبله، ثم قال: اللهم أحبه، فإني أحبه[٥].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا.
(٢) رواه الترمذي وأبو داود.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه الحاكم.
(٥) رواه الطبراني.

openkandil.com

وتأمل حاله ﷺ وهو يرى الحسن يصارع الحسين، فيجلس ويشاهد ويشجع.. عن جابر عن أبي جعفر قال: اصطرع الحسن والحسين، فقال رسول الله ﷺ: هو حسين، فقالت فاطمة: كأنه أحب إليك؟ قال: لا، ولكن جبريل يقول هو حسين»[(١)].

وهذا عبد الله بن الحارث يقص علينا مشهدًا عجيبًا فيقول: كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله، وكثيرا بني العباس ثم يقول: «**من سبق إلى فله كذا وكذا**»، قال: **فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم**»[(٢)].

وكان من كريم أخلاقة ﷺ ورحمته بالأطفال انه كان يمازحهم ويداعبهم، وفي ذلك يقول انس بن مالك رضي الله عنه:

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً و كان لي أخ يقال له: أبو عمير فكان اذا جاء النبي ﷺ فرآه قال: يا أبا عمير ما فعل النغير؟

و في رواية: «دخل علي أبي طلحة رضي الله عنه فرأي ابنا له يكني أبا عمير حزيناً، قال أنس: وكان النبي ﷺ إذا راه مازحه». فقال رسول الله ﷺ: «**مالي أري أبا عمير حزيناً؟ قالوا: يارسول الله، مات نغره الذى كان يلعب به**» .

قال أنس: فجعل رسول الله ﷺ يقول: «**يا أبا عمير ما فعل النغير**»[(٣)].

وها هو ﷺ يمازح يتيمة كانت عند أم سلمة، لكنها لا تفهم مقصوده ﷺ فتحزن، ومن ذلك حديث أنس بن مالك قال: كانت عند أم سليم وهي أم أنس يتيمة، فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة، فقال: أأنت هيه؟ لقد كبرت لا كبر سنك، فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي، فقالت أم سليم: ما لك يا بنية؟ قالت الجارية: دعا عليَّ نبي الله ﷺ ألا يكبر سني أبدًا، أو قالت: قرني، فخرجت أم سليم متعجلة تلوث خمارها حتى لقيت رسول الله ﷺ، فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك يا أم سليم؟ فقالت: يا نبي الله، أدعوت على يتيمتي؟

---

(١) رواه ابن أبي شيبة.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.

obeikandl.com

قال: وما ذاك يا أم سليم؟ قالت: زعمت أنك دعوت ألا تكبر سنها، أو ألا يكبر قرنها، قال: فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: يا أم سليم، أما تعلمين شرطي على ربي؟ إني اشترطت على ربي فقلت: «**إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيما دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل، أن يجعلها طهورًا وزكاة وقربة يقربه بها يوم القيامة**».

منهج نبوي في المزاح

إن العبادة الدائمة أو الذكر المتواصل أمل تهفو إليه النفوس الكبار، وتحوم حوله همَّم العظام، بيد أن النفس البشرية جبلت على الملل إن استمرت على أمر ثابت أو عمل متواصل، حتى ولو كان عبادة الله عز وجل، وفي الحديث: «**خذوا من العمل ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا**»(١).

والمتأمل للأحاديث السابقة والمواقف المتقدمة يدرك هدي النبي ﷺ في المداعبة والمزاح والترويح عن النفس حتى لا تمل، وقد بينها النبي ﷺ صراحة للصديق رضي الله عنه حين دخل الصديق يوم العيد فوجد جاريتين تغنيان في بيت النبي ﷺ فانتهرهما، فقال ﷺ: «**دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام العيد**»(٢).

وفي رواية: «**حتى يعلم يهود أن في ديننا فسحة**»(٣).

والذي يظهر من هذا كله: أن المزاح ليس محرما شرعا، ولا ممنوعا عُرْفا، وكذلك الضحك؛ إنما الممنوع الإكثار الذي تضيع معه الحقوق، ويُخرج به من الصدق إلى الكذب، ولله در أنس حين وصف النبي ﷺ فقال: «**كان رسول الله من أفكه الناس**»(٤).

ولذا قال ﷺ: «**لا تكثر من الضحك**» فقد منع من الإكثار، ولم يمنع أصل الضحك؛

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه أحمد.
(٤) رواه الطبراني.

obeikandi.com

بل هو في حديث أبي ذر المتقدم قال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا**»، فهو ﷺ لم يمنع الضحك، إنما دعا إلى التقليل منه.

لم يكن رسول الله ﷺ خارجًا عن الفطر السوية في فعل من أفعاله، أو قول من أقواله، ولقد صدق الأعرابي حين سئل عن سبب إيمانه بمحمد ﷺ فقال: ما أمر بشيء واستقبحه العقل، ولا نهى عن شيء واستحسنه العقل.

ويحاول البعض أن يمنع الضحك بحجة هموم الدعوة، وهم الدين، بيد أن هذه حجة واهية، فلم يكن هناك، ولن يكون، من هو أكثر اهتمامًا بالدعوة من رسول الله ﷺ، وليس هناك من تعددت لديه الواجبات كما تعددت لدى رسول الله ﷺ، فلقد كان -بأبي هو وأمي- إمامًا للناس، ومعلمًا للخلق، ومفقهًا للدين، وحاكمًا بين الناس، وقاضيا بينهم، ومجيشا للجيوش، وباعثًا للسرايا، كما كان أبًا رحيمًا، وزوجًا بارًا، وأخًا ودودًا، وصديقًا وفيًّا، ومع هذا كله فقد كان ﷺ ضحاكًا بسامًا، وتؤكد ذلك السيدة عائشة فتقول حين سألتها عمرة قالت: سألت عائشة كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في البيت؟ قالت: «**ألين الناس، بساما ضحاكا**»[(١)].

وفي رواية عند الترمذي: عن عائشة أنها سئلت كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ فقالت: «**كان ألين الناس وأكرم الناس، كان رجلا من رجالكم، إلا أنه كان ضحّاكًا بسّامًا**».

ويقول أبو أمامة: «**كان رسول الله ﷺ من أضحك الناس، وأطيبهم نفسا**»[(٢)].

وقد يظهر التعارض بين الأحاديث فيزيله قول الإمام السيوطي: «**كان من أضحك الناس**» لا ينافيه خبر «أنه كان لا يضحك إلا تبسما»؛ لأن التبسم كان أغلب أحواله، فمن أخبر به أخبر عن أكثر أحواله، ولم يعرج على ذلك لندوره، أو كل راوٍ روى بحسب ما شاهد، فالاختلاف باختلاف المواطن والأزمان، وقد يكون في ابتداء أمره كان يضحك

(١) رواه إسحاق بن راهويه.
(٢) رواه الطبراني.

حتى تبدو نواجذه، وكان أخرى لا يضحك إلا تبسمًا (الجامع الصغير).

بل لقد كانت بعض المواقف تأخذ من رسول الله ﷺ كل المآخذ حتى يضحك ويستعلي به الضحك -ولكن ذلك على سبيل الندرة- فعن أبي أمامة قال: إن رسول الله ﷺ قال يوما لأصحابه: هل أصبح أحد منكم اليوم صائمًا؟ فسكتوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، ثم قال: هل عاد أحد منكم اليوم مريضا؟ فسكتوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، ثم قال: هل تصدق أحد منكم اليوم صدقة؟ فسكتوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى استعلى به الضحك، ثم قال: والذي نفسي بيده، ما جمعهن في يوم واحد إلا مؤمن، وإلا دخل بهن الجنة»[(١)].

ولربما ضحك ﷺ من حدث عامًا كاملا؛ فعن أم سلمة أن أبا بكر خرج تاجرًا إلى بصرى ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة وكلاهما بدري، وكان سويبط على الزاد، فجاءه نعيمان فقال: أطعمني، فقال: لا حتى يأتي أبو بكر، وكان نعيمان رجلا مضحاكًا مزاحًا، فقال: لأغيظنك، فذهب إلى أناس جلبوا ظهرا، فقال: ابتاعوا(تشتروا) مني غلامًا عربيا فارهًا، وهو ذو لسان، ولعله يقول: أنا حر، فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوني لا تفسدوا عليَّ غلامي، فقالوا: بل نبتاعه منك بعشر قلائص، فأقبل بها يسوقها، وأقبل بالقوم حتى عقلها، ثم قال للقوم: دونكم هو هذا.

فجاء القوم فقالوا: قد اشتريناك، قال سويبط: هو كاذب، أنا رجل حر. فقالوا: قد أخبرنا خبرك، وطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا به، فجاء أبو بكر فأخبر، فذهب هو وأصحاب له فردوا القلائص وأخذوه، فضحك منها النبي ﷺ وأصحابه حولا».

بيد أن هذا لم يكن هو الحال الدائم أو الصفة الملازمة، وهذا ما يؤكده حديث جابر حيث قال: «كان لا ينبعث في الضحك»[(٢)].

وكان لا ينبعث في الضحك أي لا يسترسل فيه.

---

(١) رواه البيهقي.
(٢) رواه الطبراني في الكبير.

ولله در صاحب كتاب «تأويل مختلف الحديث» حين قال: «فلو ترك رسول الله ﷺ طريق الطلاقة والهشاشة والدماثة إلى القطوب والعبوس والزماتة أخذ الناس أنفسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء، فمزح ﷺ ليمزحوا، ووقف على أصحاب الدركلة وهم يلعبون فقال: «**خذوا يا بني أرفدة؛ ليعلم اليهود أن في ديننا فسحة**». يريد ما يكون في العرسات لإعلان النكاح، وفي المآدب لإظهار السرور.وقد درج الصالحون والأخيار على أخلاق رسول الله ﷺ في التبسم والطلاقة والمزاح بالكلام المجانب للقدح والشتم والكذب، فكان علي رضي الله عنه يكثر الدعابة.

لقد اتفق في مزاحه ﷺ ثلاثة أشياء:

أحدها: كونه حقاً

والثاني: كونه مع النساء والصبيان، ومن يحتاج إلى تأديبه من ضعفاء الرجال.

والثالث: كونه نادراً، فلا ينبغي أن يحتج به من يريد الدوام عليه، فان حكم النادر ليس كحكم الدائم، ولو أن إنساناً دار مع الحبشة ليلاً ونهاراً ينظر إلى لعبهم واحتج بأن النبى ﷺ وقف لعائشة وأذن لها أن تنظر إلى الحبشة، لكان غالطاً، لندور ذلك، فالإفراط بى المزاح والمداومة عليه منهي عنه، لأنه يسقط الوقار، ويوجب الضغائن والأحقاد، وأما اليسير كما تقدم، من نحو نوع مزاح رسول الله ﷺ، فإن فيه انبساطاً وطيب.

***

obeikandi.com